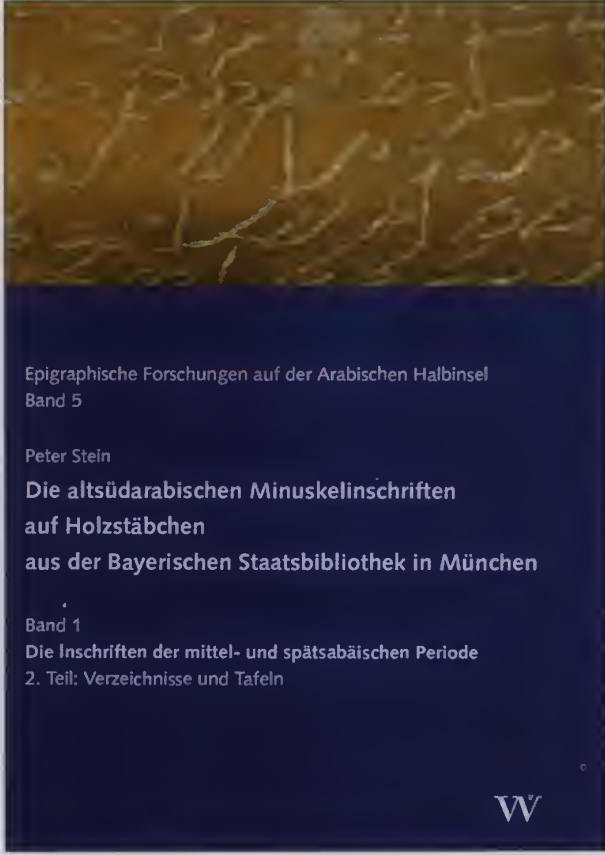


عرض المجتنب



النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب من مكتبة ولاية بافاريا في ميونخ (ألمانيا)^(١)

المؤلف: نوربرت نيبس
الناشر: المعهد الألماني للآثار - برلين
سنة النشر: ٢٠١٠م
عدد الصفحات: ٧٦٤
ردمك: ٩٧٨-٣-٨٠٣٠-٢٢٠٠-٤

عرض: أ.د. هاني هياجنه

القرن نفسه، فكانت دراسة للأستاذ الدكتور يوسف عبد الله عام ١٩٨٦ من أوائل النشرات التي عنيت بهذا الموضوع، وتبعتها دراسة لألفرد بيستون عام ١٩٨٩، لحقتها أول دراسة متكاملة لمجموعة من النصوص قام بها كل من الأساتذة جاك ريكرمانز وفالتر ملر ويوسف عبد الله صدرت عام ١٩٩٤ بعنوان «نقوش خشبية قديمة من اليمن»، علما بأن أول من تصدى لفك مغالق هذه النقوش هو المرحوم أ. د. محمود الغول في جامعة اليرموك بالأردن، وبات من المؤكد أن هذا الضرب من النقوش هو نفسه الذي قصده أ. د. القيس بن حجر شاعر كنده وأميرها عندما قال

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط الزبور في عسيب يمني
في ما يلي عرض لأهم النتائج التي وصلت إليها دراسة حديثة حول النقوش العربية الجنوبية المنقوشة على الخشب، قام بها الدكتور بيتر شتاين، من جامعة

Die Altsüdarabischen Minuskelinschriften auf Holzstäbchen aus der Bayerischen Staatsbibliothek in München. By Peter Stein. (Band 1, Die Inschriften der mittel- und spätsabäischen Periode), 1. Teil: Text, 2. Teil: Verzeichnisse und Tafeln. (volume 5 in the series «Epigraphische Forschungen auf der Arabischen Halbinsel», edited by Norbert Nebes for the Deutsches Archäologisches Institut). pp. 764. Berlin, Ernst Wasmuth Verlag, 2010. doi:10.1017/S1356186312000235

أصبحت النقوش العربية الجنوبية القديمة المكتوبة على الخشب من أهم مصادر المعلومات حول الحياة اليومية في الشطر الجنوبي من الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد عُرفت هذه النقوش منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي، إلا أن كُنْهها بقي مجهولا حتى مطلع عقد الثمانينيات من

فتمة كم هائل منها موجود في صنعاء يبلغ عدده نحو ٦٠٠٠ نقش، ومنها نحو ٨٠٠ نقش في ميونخ بألمانيا، و٣٠٠ في لايدن بهولندا. مكان العثور على هذه النقوش هو مكان واحد شمالي اليمن لم يحدد بدقة، ولعله مدينة السوداء (ن ش ن في النقوش)؛ ما يشير إلى أن هذا العدد ما هو إلا غيض من فيض، وأنه لا بد من توافر أعداد أخرى تتوزع في أنحاء متفرقة من اليمن مما لم يتم العثور عليه حتى الآن.

قام الباحث برسم تقريري للنقوش، ولكنه لم يعتمد على صورها في القراءة والتحقق وحسب، وإنما على القطعة الأصلية المنقوشة نفسها، ومن ثم حلل النصوص لغوياً، ومعجمياً؛ ولكنه لم يركز بشكل كبير على البعد المعجمي في تحليل الكلمات، ويعترف أن ثمة أسئلة ما تزال بحاجة إلى إجابة، فأبقى الباب مفتوحاً أمام اقتراحات أخرى.

احتل تاريخ البحث في هذا النوع من النقوش الصفحات من ١٧ - ٢٠ فعمل على بيان الفرق بين النقوش الخشبية والنقوش التذكارية (المكتوبة بالخط المسند) التي وضعت لأغراض العرض على العامة، والتي تركزت موضوعاتها على الإهداء إلى الآلهة، وهي الغالبة، ومن بينها النقوش البنائية. في العجالة التالية سنحاول عرض ما وصل إليه الباحث في مواضيع محددة، منها:

أصل هذه النقوش

إن أولى النقوش المكتشفة تعود إلى عام ١٩٧٠ بواسطة مكتشفين غير قانونيين بالقرب من معبد السوداء (ن ش ن)، وأكد الباحث أن هذه الحقيقة لم تتأكد من مقولاتهم، بل من خلال محتويات النقوش نفسها، نحو أسماء الأماكن الواردة فيها، وكذلك أسماء الآلهة المحلية، إذ ذكرت المدينتان نشق ونشان كثيراً، وذكر بعض منتسبي قبيلة أمير، علاوة على ذكر آلهة معروفة في الجوف، مثل (أل م ق ه ب ع ل ش ع ب ن، أرن ي د ع، ذ ت ن ش ق م، وكذلك ذ س م وي). ويرى شتاين أنه إذا ذهبنا إلى أن أصلها هو سياق أرشيفي، فإنه من الممكن القول بأن مصادرها مناطق وأماكن

بيناً بألمانيا، ونشرها سنة ٢٠١٠، وجاء الكتاب المنشور باللغة الألمانية بعنوان: «النقوش العربية الجنوبية القديمة المنقوشة على الخشب من مكتبة ولاية بافاريا في ميونخ»، وهو من إصدارات المعهد الألماني للآثار في برلين التي يقوم عادة أ.د. نوربرت نيبس بتحريرها.

عالج مؤلف الكتاب بيتر شتاين ٢٠٥ نقشا عربياً جنوبياً قديمة، منقوشة على الخشب، فعمل على قراءة النصوص وترجمتها، وتحليلها، ووضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، في ضوء المعطيات التي كانت سائدة في الشطر الجنوبي من الجزيرة العربية. النقوش المدروسة محفوظة في مكتبة ولاية بافاريا في ميونخ بألمانيا، وقد اكتفى شتاين بالعدد المذكور لأغراض دراسته المذكورة، إلا أن المتبقي من المجموعة سينشره في كتاب آخر سيصدر مستقبلاً.

تناولت المجموعة الجديدة من النقوش موضوعات قانونية، وأموراً تتعلق بتبادل الأموال والسلع، وقضايا تخص الحياة الزوجية، وإدارة المياه في الواحات، والملكية، كما تعدت إلى موضوعات أخرى، نحو نصوص تعليم الكتابة، ومراسلات احتوت معلومات حول ولادة الأطفال، ومشاكل الرضاعة، ووساطة الزواج، وما يتصل بالتعامل مع المتوفين، والخلافات حول حقوق ملكية العبيد. وتوخى لعدم إثقال الكتاب، فإن الكاتب يقر بأن عدداً من الموضوعات التي تناولها هذا الضرب من النقوش وجد طريقه إلى منشورات أخرى منفصلة، نشرها الباحث نفسه في أماكن مختلفة، وبخاصة فيما يتصل بمسألة الكتابة والمراسلات والعملات وطلب الإحياء الإلهي في الأحلام.

ويذكر أن عدد المنشور من هذا الضرب من النقوش الخشبية لم يتجاوز (٤٠) نقشا قبل صدور الكتاب الذي نضعه بين أيديكم الآن، فهو - أي الكتاب - يمثل بذلك نقلة نوعية في رفع سوية الدراسات المعنية بنقوش الشطر الجنوبي من الجزيرة العربية، وأصبحت جماعة الباحثين في هذا المجال واعية بأهمية هذا النوع من النصوص؛

خارج نشان ونشق مما هو معروف في الوثائق القانونية، وثمة شواهد كتابية حول أعمال أنجزت في مناطق أخرى، وبخاصة من وصولات الدفع، ليس في أماكن بعيدة فقط ولكن في الموطن الأصلي أيضا. وثمة تفسير آخر هو أن هذه النصوص أحضرها الشخص المعني، بعد تنفيذها في مكانها الأصلي ليضعها بالتالي في الأرشيف المحلي. ويذكر أن ما اكتشف من هذا النوع من النصوص في إطار حفريات منظمة في جنوبي الجزيرة العربية لا يتجاوز دزيتين، وهي من ربيون في حضرموت.

أنواع الخشب المستخدمة للكتابة على أسطحها

أوضح المؤلف بأن أغلبها من أضلاع عسيب النخل المعروفة في جنوبي جزيرة العرب، وعرفت قيمتها التجارية من خلال ذكرها في النصوص؛ إذ وجدت بساتين النخيل بوفرة في المدن والواحات المائية على الشريط الشمالي للمرتفعات اليمنية المركزية، وكذلك في المناطق المجاورة في الجوف التي كثرت فيها هذه النقوش، علاوة على أنواع أخشاب أخرى.

وقد احتل عسيب النخل المرتبة الأولى كسطح مفضل لكتابة النصوص، وبخاصة في المرحلة الأقدم لتطور الخط (والمعروفة بـ Ry I-III)؛ وفي مقابل ذلك فإن أغلب النقوش من المرحلة Ry VIb كتب على قطع أغصان شجر العشار (Calotropis)، أما الباقي فعلى سائر الأنواع الأخرى، وبخاصة العرعر (Juniperus). إن تراجع استعمال عسيب النخل مدعاة للتساؤل، فهل يدل ذلك على تراجع زراعة النخل في جنوبي جزيرة العرب؟ ومن الملفت للنظر أيضاً أن خشب البان والعلب لم يستخدم للكتابة على الرغم من حقيقة أنها عرفت في التراث العربي كمواد للكتابة.

أصل خط الزبور وتطوره

فقد تبين من خلال دراسة شتاين أن الأحرف قد حُرِّتْ بأداة حادة على السطح الأملس والمحضر للكتابة من قطعة الخشب الطرية أو الطازجة، وقد كان لاستدارة

مختلفة؛ وفيما يخص النقوش التي تحوي مراسلات، فإن مكان المُرسَل (أو مكان كتابة الرسالة) غير متوافر، كما لا تتوافر معلومات حول مكان المُرسَل إليه، إلا في حالة نادرة واحدة. وثمة مصادر مؤكدة لأماكن الإرسال منها ن ش ن (السوداء) ون ش ق (البيضاء)، وهرم (خربة همدان) في الجوف، ومأرب، وشبام، وصنعاء، ويلا (النخلة الحمراء) وظفار، وربما تمنع. وتتوافر رسائل في الأرشيف مما كتب في المكان نفسه، ألا وهو ن ش ن (السوداء)، ولعل ذلك ينطبق على تمارين الكتابة، وعلى تلك الأمثلة من النصوص التي وجهت إلى أماكن مختلفة، ولكنها لسبب ما لم ترسل، أما مقولة أنه تم الاحتفاظ بنسخة أخرى من الرسائل لأغراض الأرشفة في مكان الإرسال، فمسألة يمكن الاستدلال عليها من نص من المجموعة المدروسة X.BSB 157، إلا أنه لا يُستنتج منها أن هذا الأمر كان مألوفاً أو شاذاً، فيبقى الأمر إذاً غير مؤكد.

أصل مواد الكتابة

تطرق الباحث إلى مسألة مواد الكتابة التي استخدمت كسطح لنقش الخط الزبوري، ومنشأها؛ ففي حين أن الرسائل تتبع مكان إرسالها، إلا أنه في حالة النصوص المدروسة تبرز مدينة ن ش ن (السوداء) لتكون مثار تساؤلنا وموضع تركيزنا، إذ يتوقع المرء مواد الكتابة ذات صلة بالإقليم المعني، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الطرق الطويلة قد تحول دون نقل المواد الخام، فإن ثمة تفسيران يبرزان هنا؛ الأول: أن هذه النصوص كتبت في الجوف؛ ما يدل على أن هذه المنطقة كانت تتوافر فيها قبل ألفي سنة، وعلى نحو متفرق، أنواع من أشجار العرعر؛ والثانية، أن هذه النصوص كتبت في المرتفعات اليمنية في مناطق ذات كثافة شجرية، وبعدها استقرت في سياق أرشيفي في منطقة الجوف.

ولا يستثني المرء هنا النشاطات التجارية التي تتعدى حدود المنطقة، فهذا معروف لدينا من مصادر أخرى نحو الرسائل، علاوة على إشارات حول نشاطات لأعمال تجارية

السطح الخلفي منها، ووجود رموز تتكرر في النقوش حاول تصنيفها؛ فقام بتتبع رمز تكرر في ٤١ نقشا، وتطور هذا الرمز بحسب تطور المراحل التي مر فيها الخط، أي من النمط I وحتى النمط II، كما استنتج الباحث أن ١٠٨ من النقوش لم تحتو على رمز، وهي النقوش التي تحمل تمارين على الكتابة، ومخربرات من السياق التعبدي - الطقسي. وعلى الرغم من عدم وضوح وظيفة هذه الرموز إلا أنها تدل على وجود خلفية مشتركة وسلطة مركزية خلفها، وهذا يقف ضد نظرية تنفيذ هذه النقوش على نحو فردي خاص.

انتهت النصوص عادة بخطين عموديين وثالث قصير، فكان ذلك إيذانا بانتهاء النص، كما فصلت هذه الخطوط بينه وبين التوقيع، ولكنها تظهر أحيانا داخل النص نفسه، وبخاصة بين جزئي نص كبير، لذا فقد يكون استعمالها لغرض تقسيم النص، ولم تعرف هذه النصوص علامة أخرى، وعمد في محتوى النص (إلى الانتقال من المقدمة إلى النص الرئيس وخاصة في الرسائل)، بواسطة التركيب بتقديم الجملة الاسمية (مثال: وهـ ا ف - ف ع ل «وهو (أي ما يخص المرسل) ففعل(هـ)....»، أو و - ا ت ف - ف ع ل ن «وأنت فافعل (ما يخصك)....».

توقيع النقش يقوم كاتب النص المُفَوَّض، ونادرا ما يكون مرسل الرسالة، بحز توقيعه، فيعطى النص في هذه الحالة الإلزام القانوني في سياقة المرتبط بالعمليات القانونية، إذ ثبت توافر نصوص وقَّعها أكثر من شخص، وبخاصة النصوص القانونية؛ وعمّا إذ كان توقيع النص قد تم بيد الشخص نفسه، أي صاحب النقش، والذي يكتبه عادة شخص ثالث، فنبت من خلال صياغة الجملة ع ل م - ي د «توقيع يد فلان (ذاتها)»، وثمة عدد قليل من النقوش يشير إلى ختم بعض النصوص بالشمع.

هوية المرسل

علاوة على شكل الخط المعياري، فإن ثمة معايير

الخشب وتحديه والطبيعة اللينة للخشب الأثر في أن الحروف لم تبق مستقيمة ومُرَوَّاة وذات أضلاع متماثلة، كما هو الحال في النصوص التذكارية المنقوشة على الحجر، ففي الحقب السبئية المبكرة بدأ الإنسان يكتب على الخشب بالخط التذكاري المتماثلة أضلاعه، إلا أن تلك الزوايا لم تدم طويلا، نظرا للحاجة إلى نمط خط عملي وعَجَل ورشيق، لذا فقد بدأت الخطوط المستقيمة تنحني والزوايا تتحدب؛ ما نتج عن ذلك خط جديد يستعمل لأغراض سريعة، والذي أصبح يختلف عنه اختلافا كبيرا بعد بضع مئات من السنين، فضاع الشكل المشترك بينهما.

وفيما يخص تطور شكل الأحرف، فقد قام شتاين بدراسة أشكال الأحرف المستعملة، وأقر بأنها تقع في أربع مراحل وُسِّمَت بـ Ry I, IIa, b, c, d, IIIa, b, IVa, b حيث تمثل مرحلة Ry I نمط الخط السبئي بالخط التذكاري (المسند)، في حين تميز خط المراحل Ry IIa-d إلى الاستدارة والسلاسة والجريان (المرحلة الانتقالية)، وأما المراحل المتبقية (Ry III-IV) فتمثل الخط الشعبي بعد تطوره واستقراره.

عالج الباحث تطور الحروف في النقوش المدروسة، فذلك يساعد في عملية التأريخ، وتطرق إلى شرح تلك المراحل كما يراها في مجموعته، وعرض إلى الشكل الخارجي للنقوش وتنظيم فعالية الكتابة، فأقر بأن ثمة نظامين كانا سائدين جنباً إلى جنب، هما التذكاري والشعبي، وناقش أيضا شكل الخط وتشكيلته، إذ استنتج أن ثمة عددا من المؤشرات التي تدعو إلى القول بأن أصحاب هذه النقوش لم يقوموا هم أنفسهم بكتابتها أو تأليفها على نحو خاص أو فردي؛ ومن هذه المرتكزات الداعية إلى مثل هذه النتيجة التشكيل النمطي للمساحة المخصصة للكتابة المُحددة بخطوط ورمز، وكذلك دقة الكتابة، واتخاذها نمطا موحدا، والكتابة على السطح الفوقي لقطعة عسيب النخل الناعم والمُنْهَم، وليس على

لأرشفيف كهذا؛ إذ يتضح من نقش مسندي آخر وهو R ٣٩٥٩/٤ [و-] م ث ل ذ ن وت ف ن ب-م ح ر م ن ش ع ب ن ب-ن ش ق م «ونسخة هذه الوثيقة (الحجرية) في معبد ش ع ب ن (في مدينة) ن ش ق م». ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن النسخة الأخرى للنقش الحجري لا بد وان تكون خشبية، ولكنه احتمال ينبغي عدم استبعاده. ولعل يمكن القول حسب نتائج دراسة شتاين أن النصوص القانونية لم تكن هي فقط موضع نسخ وأرشفة وحسب، بل والرسائل أيضا.

وحتى لو لم نجد إشارات مباشرة إلى وجود أرشفيف كهذا في السوءاء، وهو الموقع المفترض للأرشفيف، إلا أن سياق الموجودات المعروفة من الجوف يرجح ذلك. كما أن عدم تجانس النقوش التي عثر عليها متصلة بقطع غير مكتوب عليها، يجعلنا نفكر باحتمالية أنها لم تكن موجودة في سياق أرشفيف في مكان محدد، وإنما على الأكثر في حفرة خصصت لرمي القطع غير الضرورية وغيرها من القطع غير المشغولة أو غير المكتوب عليها. وقد يساند هذه النظرية تلك الخطوط المنقوشة باتجاه قطري والخدوش العشوائية فوق عدد من النصوص القانونية، فلا يعني ذلك بالضرورة أن أضرارا قد وقعت بها، بل أن هذه النصوص قد تم إتلافها بسبب بطلان سريان محتواها القانوني.

محتوى النصوص

أثبتت دراسة شتاين أن محتوياتها لم تكن مشهودة في النصوص المسندية، ففيها من المعطيات والمعلومات ما لم يتوافر بعد لمجتمع الباحثين قبل فك مغالقتها، وقد صنف الباحث مواضيع شتى تناولتها النقوش، منها:

- النصوص القانونية والاقتصادية، ويندرج تحتها:

بيانات حسابية: وهي أكثر أنماط النصوص في هذه المجموعة، وتكون على شكل لوائح تبدأ بأسماء أو صيغ اسمية أو أعمال أو وحدة رقمية أو بوحدة قياس إزاء أسماء أشخاص أو عائلات، ومثال ذلك نقش X.BSB1 (Mon. = Script.sab. ٢٢٠): (١) ث ن ي / [ذ ي / فل] ج ي / ب

تتصل بالمحتوى تدل على توافر جهة مركزية كانت تقوم بإنجاز هذه النقوش وصناعتها وتنفيذها؛ ففي حال الوثائق القانونية الملزمة والتي تحتاج إلى مثول شهود، فإن حال تأليف الرسائل والنصوص التي تتضمن إعلاما بين شخصين لا يحتاج إلى شخص ثالث طالما يعرف أحدهما القراءة والكتابة.

صحيح أن المرسل إليه يخاطب بضمير المخاطب، إلا أن الرسائل عادة ما تتحدث من ناحية المرسل بضمير الغائب، وهذا يعني أن واحدة من عمليتي الكتابة أو القراءة، وربما كلاهما، لم يتم بهما طرفا الرسالة وإنما شخص ثالث، وفي واحد من النصوص (الرسائل) يتضح أن كاتب النص كتبه بحسب كلمات المرسل وقام بتوقيعه، نحو- ز ب ر ع ب د م ك-ه أ ذ ن «ع ب د م وقّع كما قيل له (أي كما قال له المرسل)»، ويبدو أن الكاتب الفعلي للرسالة زود بمعلومات وكلمات مفتاحية كاسمي المرسل والمستقبل، وكذلك الخطاب الرئيسي أو الجملة المركزية، بحيث يقوم الكاتب بأسلوب تركيبى متكامل ويعمل على إكماله بالمقدمة والخاتمة والعبارات الختامية المعهودة.

أرشفة النقوش الخشبية مقارنة بالنقوش التذكارية

بيّن شتاين أنه في الوقت الذي كانت فيه النقوش التذكارية مَعْدَةً أصلا للعرض على الملأ لإبلاغ الهدف المراد منها، فإن النقوش الخشبية المكتوبة على الخشب حُدِّدَ مصيرها لتكون في أرشيفات آمنة، وثمة أدلة على أن النقوش التذكارية كان لها نسخ على الخشب، إذ عُمِّدَت صلاحيتها القانونية بواسطة توقيع المعنيين، لتوضع من ثم في أرشفيف خاص، ويُرجَع إليها لأغراض التأكد والتحقق في حالة الشكوى النابعة من النص المعلن بالخط التذكاري.

وما يدل على ذلك من النقوش المسندية ما ورد في نقش جلازر ١٥٢٣/١٤ وما بعده: و-ه م ث ل ذ ن م ص د ق ن ب ن م ص د ق ن ب-ه وت ع ل م ذ-ح ب ب «وُسِّخَت هذه الوثيقة (أي الحجر المنقوش هذا) من وثيقة (أصلية) وقمها ذ-ح ب ب (و.....)»، ولعل مبنى المعبد أفضل مكان

وكذلك مصادقة بواسطة واحد أو اثنين من المعنيين أو الشهود؛ فباستثناء قوائم الأسماء ومعظم البيانات الحسائية، فإن هذين العنصرين يعدان إجباريين في الوثائق القانونية، كما مُيِّزَت هذه النصوص، ولكن ليس بشكل مضطرب، أو بنفس القدر، بوجود حز أو خرم على الحافة اليسرى للْعُصِيَّة ولعله وجد لتثبيت الختم. وثمة أمثلة مفردة من هذا النمط، نحو مستند تموين وعقد إيجار.

- **الرسائل:** وتتميز نصوصها بإتباع نسق محدد يبدأ بمقدمة تتكون من المرسل والمستقبل، وتتكون تركيبتها في الفترتين السبئيتين المتوسطة والمتأخرة على نحو: ل + اسم علم + ع م - ن + اسم علم «إلى فلان (المرسل إليه) من فلان (المرسل)». ولم تكن عناصر التحية الأخرى، نحو التحية والمباركة وتمني الرفاء وخواتم النصوص إجبارية، وفي بعض الأحيان لا يمكن الفصل بين المراسلات التجارية والخاصة، أو ذات الطابع العائلي.

- **تمارين الكتابة:** وتعد مسألة التمارين على الكتابة مؤكدة في جنوب جزيرة العرب، وهي تشبه إلى حد بعيد التدريبات المدرسية المعروفة عند البابليين. وأمكن تمييز أنماط من هذه التمارين على النحو الآتي:

- تمارين على كتابة بعض الأحرف والتعود على استخدام أدوات الكتابة.

- سلسلة الأحرف الكتابية، وتمثل خطوة أولى في فهم الخط

- نسخ أسطر نموذجية لعدة مرات

- تمارين من وثائق ورسائل

- قوائم أفعال وصيغ اسمية مختلفة. ولعل قوائم الأسماء تقع تحت هذا الباب، ولكن هذا ليس مؤكداً.

- نصوص ذات صبغة تعبدية، وهي من أقل النصوص مثولاً في النقوش الخشبية، وقد تعزى إلى المعبد، وهي في مجملها قرارات إلهية، موحاة في المعبد.

ع س ت <ن> م / ذ ف ق ح ي / ذ [أ ل أ ت...] «الحقلان اللذان حُرثا في (اليوم) الأول من (الأيام) العشرة الثانية (لشهر) ذ [أ ل أ ت...]

الإيصالات، وهي مستندات تبرهن على استلام بضاعة أو تسوية لدين مالي يلتزم المدين بواسطتها بأن يدفع للدائن ما يُستحق عليه، وقد يكون ذلك مالا أو منتجات، وليس من النادر ذكر اسم البضاعة أو المادة. ومثال ذلك من النصوص إيصال بتزويد شحنة من التمر، وإيصال بدفع مبلغ من المال مدعم بحلفان اليمين، أو إيصال بإعادة مال أو حبوب، أو بتسوية التزام مالي، أو بدفع أجره عمل.

شهادات الالتزام: ويتميز هذا النوع عن سابقه بأن صاحبها يلتزم من خلال هذا النوع من النصوص بفعل معين كإحالة ملكية أرض مثلاً، وعادة ما يبدأ النص بفعل مشتق من جذر ذ ك ر «أعلن»، مثال ذلك ذ ت ي ذ ك ر فلان ك- «هذا ما أعلنه فلان (ويتبعه النص الذي ينص على الالتزام)»

مستندات الدَّيْن: ويلتزم فيها شخص معين بدفع جزء من الدين بواسطة شخص ثالث، وعادة ما يكون من المال، وتبدأ هذه النصوص بمقدار ذلك الجزء المراد دفعه والذي يضمن (ي ت س ي ن) شخصٌ دفعه لآخر من مجموع المبلغ. وثنائى تسليم وتوثيق تملك أشخاص يقومون بتصرف أشخاص آخرين: وهذا ما تدل عليه الكلمات وسياق النصوص المستخدمة، وكذلك الحقوق التي يلتزم بها المالكون والمملوكون؛ ما يجعل أمر هذا النوع من النصوص جلياً.

رسائل مُرافقة للبضائع: ولا يعطي هذا النمط من النصوص معنى إلا عند مصاحبته لنوع من البضائع التي ذكرت في الوثيقة، ولعل هذه النقوش كانت مرتبطة بعملية تزويد البضائع، وكانت وظيفتها التعريف بوظيفة البضاعة

قوائم أسماء: وليس من المؤكد إدراج هذا النمط من النصوص تحت باب النصوص الاقتصادية.

تمتاز النصوص القانونية بأنها شُفعت بتاريخ العملية،

السمات اللغوية للنقوش الخشبية

القديمة على نحو: -م أو -م و.

وفيما يخص الضمائر فقد زدوتنا النقوش الخشبية بشواهد أكملت ما كان ناقصا في نقوش المسند، على وجود ضمير المخاطب، وبخاصة في نصوص الرسائل، التي زدوتنا بسياقات لضمير المخاطب، وبالنسبة للضمائر المتصلة، فإضافة إلى المذكرة منها (نحو - ك (مفرد)، - ك م ي (مثنى)، وك م و (جمع)، فقد ثبت من خلال النقوش الخشبية توافر سلسلة الضمائر المتصلة المؤنثة كاملة (- ك، - ك م ي و- ك ن. أما ضمير المتكلم فقد ظهر بشكل متفرق كما هو الحال في النقوش المسندية، وثمة ميل في الرسائل المكتوبة باللهجة الأميرية وبعض الرسائل المعينية لاستخدام هذا الضمير من وجهة نظر المرسل.

التركيب

استعمال الأداة الانضوائية - م (و) بشكل كبير، والتي لم تظهر فقط في الضمائر والأدوات ولكن أيضا في الأعداد، وفي صيغ اسمية أخرى؛ طالما جاءت في وضع لم تشفع فيه هذه الأدوات والأسماء بنهاية معينة.

خصائص لهجية

لم تقتصر اللغة المستخدمة في النقوش المعزوة إلى السوداء على السبئية بل تعدتها إلى المعينية ونقوش أخرى فيها ملامح اللهجة السبئية لقبيلة أمير، فقد كانت هذه اللهجات معروفة في النقوش المسندية أيضاً. فالمجموعة المدروسة تحتوي على أربعة نقوش مكتوب باللهجة الأميرية، وقد أمكن التثبت من خواص أخرى لها في النصوص الخشبية غير تلك الموجودة في النقوش المسندية. وأصبحت بين أيدينا شواهد على صيغة وزن الفعل المضارع المسند إلى ضميري المتكلم والمخاطب؛ فجاءت على نحو: ف ع ل ت (المخاطب) (وليس على نحو ف ع ل ك)، وكذلك أف ع ل (المتكلم)، ف ع ل ت م و (للمخاطب الجمع، وكذلك ف ع ل ت ن للمؤنث، ون ف ع ل للجمع.

بيّنت الدراسة اللغوية للنصوص أن لغتها لا تختلف كثيراً عن لغة النقوش المسندية، ولما كانت النصوص تعنى بمواضيع لم نجدها في النقوش المسندية، فإننا نجد صيغا أسلوبية جديدة وتمايزا في التراكيب والمعجم؛ لذا فإن الخواص اللغوية التالية ما هي إلا تكملة لبعض الظواهر اللغوية التي أمدتنا بها النقوش المسندية، كما أنها لا تمثل لغة مبتدلة أو عامية، كان كاتب النص أو مؤلفه يتكلمها.

فمن حيث النظام الصوتي، فقد استخدم الرمز ض للتعبير عن صوتي الضاد والطاء في الحقة التي تلي العصر السبئي القديم، على الرغم من التمييز بينهما في خط النقوش السبئية حتى زمن متأخر من مسيرتها؛ ما يحدو بنا إلى القول بأن الصوتين كانا ينطقان بطريقة واحدة، كما هو الحال في اللهجات العربية الحديثة، ويبدو أن هذه الظاهرة كانت عامة في اليمن كله، وليس في منطقة الجوف؛ إذ ينبغي ألا تستثنى إمكانية أن جزءا من هذه النقوش مصدره مناطق أخرى من اليمن.

وتبين أيضا دمج الذال بالزين، وتحول السين الثالثة إلى السين الأولى في الحقة السبئية المتأخرة. وهي ظواهر ثبت وجودها في النقوش المسندية أيضا. كما أن التناوب بين الواو والياء في الجذور الجوفاء بالواو أو الياء (ك ي ن بدلا من ك ون) سمة معروفة في النقوش المسندية. ويمكن ملاحظة اختفاء الياء في وزن الفعل المضارع عندما تسبقه أداة، نحو: ل-، أي ل- ف ع ل ن، بدلا من: ل- ي ف ع ل.

ومن الناحية الصرفية، فقد شهدنا التميميم في هذه النقوش حتى نهاية هذا النمط الكتابي، وقد يكون غيابها أحيانا مقتصرا على نقوش متفرقة، وربما كان مرد ذلك أسباباً لهجية أو ضرورات الوزن الشعري؛ أما ما يخص الأعداد فانتهت بالميم، والتي يمكن أن تفسر على أنها لاحقة انضوائية (enclitic suffix) والمعروفة في العربية الجنوبية

تأريخ النقوش

الجزيرة العربية، من عربية جنوبية قديمة، سواء كانت مكتوبة بالخط المسند أو الزبور (الشعبي)، وعربية شمالية قديمة، وما انتشر أيضا في أواسطها من كتابات متنوعة، ما هو إلا دليل واضح على انتشار معرفة الكتابة والقراءة لدى سكانها العرب منذ القدم، ليس على المستوى الرسمي ومركزية الدولة، وإنما على المستوى الشعبي. كما زودتنا هذه النصوص بما لا يترك مجالا للشك، أن جزيرة العرب سادت فيها مجتمعات وجماعات مزدهرة تضارع في تكوينها الحضاري تلك المعروفة في بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، فالأيام حبلى، ولا ندري ما ستلد لنا الحفريات والمسوحات والدراسات الأثرية من أخبار ومعلومات ستضفي حتماً بعداً جديداً على فهمنا للتاريخ الحضاري للجزيرة العربية.

على الرغم من وجود ما يدعو إلى ذكر تاريخ معين في هذه النقوش، إلا أن أغلبها وصلنا من دون معطيات تاريخية. ولما كانت المعلومات المستندة إلى سياق أثري غائبة، فقد أصبح من الحتمي الاعتماد على تطور شكل الخط كمعيار مهم وضروي؛ إذ تبين أن الخط المسندي المستعمل في هذه النقوش والذي يقع في المرحلة المبكرة Ry I من تصنيف ريكمائز لأشكال خط هذه النقوش، أن أقدم نقش خشبي يعود إلى أوائل الحقبة السبئية المبكرة، أي على الأقل إلى القرن الثامن ق.م؛ أما نهاية إنتاج النقوش والتي صنفت بـ Ry IVb فتقع في الحقبة السبئية المتأخرة (ومن المعلوم أن أحدث نقش خشبي مؤرخ يعود إلى سنة ٥٢٢ ب.م.).

إن الكم الهائل من النقوش الآتية من شتى أصقاع

عرض: أ.د. هاني هياجنه: كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - إربد الأردن، hani@yu.edu.jo; hani.hayajneh@gail.com

الهوامش:

(١) تمت المراجعة خلال إقامتي في ألمانيا كزميل بحث على نفقة مؤسسة ألكسندر فون هومبولدت الألمانية في مركز دراسات الشرق الأوسط والأدنى بجامعة فيليبس - ماربورج.